تمفصلات وحي السنة في الخطاب الحداثي بين القطيعة المعرفية و الردة الفكرية

بقلم

د/ نور الدين لبصير

جامعة امحمد بوقرة بومرداس- الجزائر

labessir.nouraddine67@gmail.com

المقدمة:

إنّ البحث في موضوع أزمة الخطاب الحداثي، وقراءة تمفصلات الوحي السنة النبوية في هذا الفكر بين القطيعة المعرفية، والردة الفكرية **مجاله واسع، وقضاياه متعددة، ومتداخلة، ومتشابكة، ومعقدة يصعب الإلمام بها دفعة واحدة في هذه المداخلة،** ذلك لأنَّ هذا النوع من الخطاب في التقريب، والقراءة هو بالأساس مغامرة فكرية عويصة هذا **وقد عرف تاريخ الفكر العربي، والإسلامي في حقبه المتعاقبة المختلفة أنماطاً متباينة، وأشكالاً** متعددة، وطرقاً متنوعة في الطعن في السنة، فتارة عن طريق الطعن في حجيتها، ومكانتها، وتارة عن طريق الطعن في الأسانيد ، والتقليل من شأنها، وتارة عن طريق الطعن في منهج المحدثين في النقد، والجرح، والتعديل، وتارة عن طريق الطعن في المرويات بالتشكيك فيها، وادعاء التناقض، والتعارض بينها، وتارة في وحي السنة وهي الظاهرة التي استفحل أمرها، والتي سنقف عندها؛ حيث ظلّ الفكر الحداثي يقرّ بأنّ الوحي يشكل عقبة معرفية أمام كلّ محاولة لإعادة بناء الشخصية العربية الحديثة، لارتباطه اللزومي بالقراءات القديمة الموروثة عن الأسلاف.

لقد أحْدثَت الحداثة شرْخاً كبيراً في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة، فجاءت هذه الورقة البحثية لمقاربة تمفصلات وحي السنة في الخطاب الحداثي الذي تميز بين قطيعة معرفية، وردة فكرية، ومحاولة الوقوف على الأسباب الحاملة لشرذمة من الحداثيين المعاصرين على الطعن في وحي السنة النبوية، والتطاول على المقدسات ، والتمرد على شرع الله تعالى زعماً منهم أنّ هذا الشرع المنزّل ليس شاملاً لكلّ الأعمال، والمناشط الحياتية؛ و**لذلك من الأهداف الإستراتيجية لهذه الورقة البحثية أنّ إعادة النّظر في خطابات هذا الفكر من شأنه أن يكشف عن** أزمة القراءة الحداثية للسنة النبوية، ووقوعها في القطيعة المعرفية مع سلف الأمة، وثوابتها، وأصولها، وتراثها..،والردة الفكرية التي وقعت فيها لأنّها تغيّب البعد المصدري للسنة، ونفي كونه وحياً من الله، وهو في اعتقادي من الأسباب التي ساهمت في الطعن في السنة؛ فهم يؤمنون بتاريخية الإسلام عموماً (أي أنّ الإسلام الذي كان يمارس في عهد الرسول لا يعكس حقائق ثابتة، وأنّ ذلك يتعلق بالظروف التاريخية التي كانت ملائمة لذلك العصر، ولكنها لم تعد صالحة اليوم)، كلّ ذلك ولّد فيهم عدم إدراك عظمة وحي السنة، ومن ثمّ كيفية التعامل معها ، فهمًا، وتنزيلًا، واستنباطًا واستدلالًا، ممّا دفعهم لتبني مشروعية نزع القداسة عنها، ونفي أن تكون وحياً، ومن ثمّ توجيه سهام النقد، والتخطئة، والمراجعة، والتصحيح، والتنقيح، والطعن، والاستخفاف بالسنة ؛كلّ ذلك يعطي للباحث مشروعية إعادة النظر في القراءة الحداثية للسنة النبوية، وإعادة تقويم تعاملها مع السنة، لذلك نود مسألة أهل الحداثة – من الناحية الدينية، ومن الناحية المعرفية، ومن الناحية المنهجية؛ لأنّه قد طال زمن الغربة، والضلال والتيه، والتعالي على المقدسات، والتطاول على الثوابت، ولاسيّما أنّ الخطاب الحداثي خطاب نشط ، ومتنامٍ ، ويحظى بحفاوة المؤسسات الإعلامية العربية، والغربية، ويسيطر على المنابر الثقافية ، والصحف، والفضائيات ، وغيرها، هذا المشهد هيأ له

فرصة تسويق قراءته، وخطابته.

ليس من أهداف هذه الدراسة، ولا شغلها، وهمها الأساسي تتبع موقف الخطاب الحداثي بكلّ تفصيلاته الجزئية ، أو الجدال في نشأة هذا الفكر، ولا الجذور، والخلفيات التي ينطلق منها؛ هذا لعمري يحتاج إلى مساحات واسعة لا يسمح هذا الفضاء المخصص لهذه الدراسة الخوض فيه، وإنّما كان شغلها، وهمها لماذا يسعى هذا الفكر لنزع القداسة عن السنة؟، ولماذا ينفي عنها ظاهرة الوحي؟، ولماذا يوجه سهام النقد للسنة ؟، ولماذا العمل على مقاومة الثابت علمياً، وفكرياً، وثقافياً، وزرع الإشكاليات ضمن المسلَّمات؛ فجاءت هذه الدراسة كحلقة من حلقات المعركة المحتدمة على الساحة الفكرية لتساءل الحداثة العربية من زاوية موقفها من الوحي السنة النبوية، والتي اعتادت اللمز، والطعن في وحي السنة النبوية ، وعدها مصدر التشويش الاجتماعي المعاصر، وأنّها من الأسباب التي أدت إلى تحجير العقل، وتجميد الفكر.

ولما كانت السنة النبوية – المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فلذلك لا غرابة أن يصَوَّبَ كثير من الحداثيين إليها سهامهم، وجعلها من بين أهم الأهداف، والإستراتيجيات المعتمدة التي يسعون لهدمها، لأنّها المرجعية التي تحصن الأمة .

أهمية موضوع البحث: وتتجلى أهمية هذه الدراسة :

– من أهمية موضوع الملتقى خاصة في الوقت الراهن،خصوصاً مع ما أصبح يثار من قضايا الطعن في الثوابت ؛حيث ظلّ الفكر الحداثي يقرّ بأنّ الوحي يشكل عقبة معرفية أمام كلّ محاولة لإعادة بناء الشخصية العربية الحديثة، لارتباطه اللزومي بالقراءات القديمة الموروثة عن الأسلاف.

– لا يتردد الخطاب الحداثي في التبرم من مرجعية الوحي، والهجوم على التراث، وتعظيم الحداثة ،وهي من أكثر شعب النفاق المعاصرة التي تستدعي التحصين الإيماني.

وفي خصوص قضية الوحي يكرر الخطاب الحداثي كثيراً القول بأنّ هناك نظرتين مختلفتين للوحي: الأولى: الرؤية التقليدية السطحية التي تتعامل مع الوحي على أنّه حقيقة خارجة عن الواقع، ومتعالية عليه، وأنّها نازلة من السماء إلى الأرض، والثانية:الرؤية الحداثية الواعية العميقة التي تنظر إلى الوحي نظرة مختلفة عن تلك النظرة البدائية، وتفسره تفسيراً يتناسب مع متغيرات التاريخ ، والثقافة.

– إصرار دعاة الحداثة على قطع الصلة بتراث الأمة نهائياً، واندماجهم في المنهجيات الغربية اندماجاً كلياً.

– فضح دعوتهم القطيعة مع التراث، ومع السلف، والتوجه نحو المستقبل، ونشد التغيير إلى ما لا نهاية.

– وتكمن أهمية هذه الدراسة أنّها تركز على ما يسمون زوراً بـ"المفكرين الجدد للإسلام" الذين يتصدون لقراءة السنة، وتحليلها متحررين من جميع القيود، والأغلال.

– ما مدى مصداقية الدعوة إلى التخلص من القيود التي فرضها السلف على كل من أراد الخوض في قضايا الفكر

الإسلامي، وأصوله؟.

– الوقوف على رفضهم المناهج الإسلامية "التقليدية" التي تجاوزها الزمان– في نظرهم–، والتي لم تعد صالحة

لزماننا، ولذلك هم يقترحون مناهج أخرى حديثة، يرون أنّ تطبيقها سيفرز نتائج مهمة من شأنها أن تمكن الفكر الإسلامي من تحرير العقل، والانفلات من قيود الماضي، وقبضة التخلف، وتحقيق النمو الحضاري المنشود.

- تربية الفرد المسلم على احترام السنة النبوية.

- التحذير من القراءة الطائشة للسنة النبوية، وتحصين المرجعية الفكرية.

-التهيب من الخوص، والتأويل في السنة دون أن نملك الأدوات التي تؤهل لذلك.

أهداف الدراسة: تسعى هذه المكاشفة العلمية للوقوف على الخطاب الحداثي بالضبط، صحيح أنّه قد وجد. عصرنا في هذا كثيرون من يطعنون في السنة، ويحاربونها، **ولكنّ سينصب الحديث في هذه الورقة البحثية على الخطاب الحداثي**...لأنّ التيار الحداثي ظلّ يزعم أنّه يقدِّم الفهم الصحيح للدين، لذلك كان هم المعول عليهم في تنفيذ الخطط، والإستراتيجيات، إذ يتمّ التعويل على هؤلاء الحداثيين بالذات لأنّ ذلك يرجع في الحقيقة لامتلاكهم القدرة الأكبر على التزييف، والتضليل فهم بعكس العلمانيين التقليديين علمانيون متلونون يصرون على الاحتفاظ بالأطر، والشعارات الإسلامية الشكلية، الأمر الذي يمنحهم القدرة الأكبر على تدليس المفاهيم بالنسبة للجماهير الإسلامية التي تم تسطيحها،والحال أنّها قد هيمنت على طول خريطة العقل العربي الحديث، وما أفرزته الإنتاجات الفكرية، والفلسفية، والأدبية، والمذهبية خير دليل على ذلك، والمتأمل في الفكر العربي المعاصر الذي يدعو إلى التنويرية، والفكر المتحضر، وتحرير العقل، ويصف التمسك بالسنة ب"الظلامية"، و"الفكر المتخلف" ، و"الماضوية"نسبة إلى الماضي، و"التاريخانية"...،وغيرها من الألقاب.

- كم هو عجيب هذا الفكر الحداثي عندما تنقلب معه القيم، والمفاهيم فيصبح الاعتزاز بالسنة، والتشبث بها تخلفاً، ورجعية، وظلامية مخزية، بينما التسول الفكري

على موائد الحداثة تقدماً، وتحضراً، وإبداعاً...

– تحاول الدراسة الوقوف على تمفصلات الخطاب الحداثي، وموقفه من وحي السنة، وأدواته الإجرائية التي اعتمد عليها، والمسوغات التي استند إليها..كلّ ذلك يدفع لدراسته دراسة علمية لاستجلائه، والوقوف عليه ، وبيانه بوضوح.

– ومن الأهداف التي سطرتها الدراسة التحذير من التيارات الحداثية التي هي في حقيقتها الوجه الفكري، والأدبي للصليبية، والاستشراق.

– إشاعة الإلحاد الفكري، والتطاول على المقدسات، والثوابت.

– يدعون إلى نسف التحاكم للكتاب، والسنة، وتقرير التحاكم بالقوانين الوضعية .

– كما يدعون إلى ترك الماضي، وإغلاق بابه، وفتح باب التجديد في التشريع.

– ومن الأهداف التي تسعى لتحقيقها هذه الورقة العلمية محاولة الوقوف على حقيقة الدعوة التي ينادي بها الحداثيون أنّ العقل وحده كاف، وقادر على الوصول إلى الحقيقية، ولماذا هذا الإصرار على إعلاء مقام العقل.

إشكالية الدراسة: إنّ إرادة النخب الفكريّة ذات الاتجاه الحداثي تريد الخروج بالنصّ الديني سواء القرآن أو

السنة من دائرة الوحي إلى دائرة التاريخ ،ومن دائرة الإيمان ،والتسليم إلى دائرة العلم، والمراجعات النقديّة من خلال جعله قابلاً للقراءة، لذلك لا يفتأ الخطاب الحداثي يقرر أنّه يسعى لزحزح القداسة من النصوص، وإسقاط الوحي ، وهيبته المفروضة، وتبين أنّ هذه النّصوص كغيرها من النصوص خاضعة للمشروطيات البشرية؛ **لا شك كلّ ذلك يدفع فضولنا لقراءة هذا الفكر،وكيف تعامل مع وحي السنة** ؟ما هو موقفه من وحي السنة النبوية؟، وهل إضفاء قداسة الوحي في الحديث النبوي

كان سبباً في تحجير العقل، واغتياله؟، ولماذا يصر أهل الحداثة على نفي صفة الوحي الإلهي عن الحديث؟، ولماذا هذا الإصرار في الطعن في وحي السنة؟

هذه الأسئلة، والإشكاليات تلخص جانباً من جوانب خطاب الحداثيين، وموقفهم من السنة النبوية؛ ثمّ ما مدى صلاحية الإشكاليات التي طرحتها، ومحاولة الإجابة عنها بما يلقى المزيد من الضوء على هذا الخطاب الحداثي، **وهي الإشكالات التي ظلّت تنتظر إجابة شافية من المثقف العربي المسلم .**

وفي ضوء هذا المعطى جاءت هذه الدراسة وهمها، وشغلها الشاغل الإجابة عمَّا تحمله من إشكالات فكرية ، وقضايا معرفية تمس موضوع هذه الدراسة، وفي اعتقادي سيظلّ سؤال التعامل مع السنة في الفكر الحداثي المعاصر سؤالاً محورياً، ومركزياً يبحث عن الأجوبة في سياق أسئلة أعمق، وأعمّ تتعلق بالتعامل مع السنة لا يمكن أن تحاط بها دراسة، أو يجيب عنها ملتقى .

الدراسات السابقة:

– السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ وَحْيٌ: الأستاذ الدكتور خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزَّامي:ركز فيه على أنّ السنة النبوية وحي، وجعلها ميزة امتاز به – صلى الله عليه وسلم – عن سائر الأنبياء عليه، وعليهم الصلاة والسلام، وفرق بين الوحيين، فوحي السنة غير متلو ، ولا متعبد بتلاوته، بخلاف وحي القرآن الكريم، وهذا ما أعطيه – صلى الله عليه وسلم –.

– السنة النبوية وحي من الله، محفوظة كالقرآن:الأستاذ الدكتور: الحسين آيت سعيد تعرضت الدراسة لبيان مكانة السنة النبوية ،وكيف شرفها الله تعالى ،و ما تعرضت له من التشكيك، والطعون، ولا تزال ،و محاولة حصرها في دائرة ضيقة، يستأنس بها، ولا يعتمد عليها، ولا تنشئ أحكاما، ولا يحتج بها في العقائد، ولا في

الحدود، إلى غير ذلك من تظليلات ، وآراء لا حصر لها، يجمعها كلها، النظرُ إلى السنة بمنظار لم يعهده السلف المتقدمون.

-النظريات اللغوية الحديثة وحدود استعمالها في فهم الحديث النبوي: د.أحمد قاسم كسار : ركز في دراساته على

انسياق بعض الباحثين في الانبهار بالطروحات، والنظريات التي رفعت القدسية عن النّصوص كلّها ، الأمر الذي جرَّ هؤلاء المستغرِبين لإخضاع نصوص السنة النبوية، وغيرها من النصوص في لغة العرب على طاولة البحث ، والتفكيك، والتشكيك، والنقد.

- مفهوم التأويل في فهم الحديث النبوي دراسة تأصيلية نقدية تطبيقية: د. عمار الحريري :بحث أعد للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي بعنوان"التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين"؛ حاول من خلاله الباحث الوقوف على دلالة التأويل في الحديث النبوي، وكيف تعاملت معه الفرق، والمذاهب لنصرة مذاهبها.

- القراءة الحداثية العربية للنّص الديني (محمد أركون ونصر حامد أبو زيد نموذجا):محمد خالد الشايب ؛ جاءت الدراسة للوقوف على النص الديني عند اثنين من أعلام الحداثة، وإن كان النص الديني في الخطاب الحداثي يشمل الكتاب ؟؟، والسنة إلاّ أنّ الدراسة توقفت كثيراً على النص الديني القرآني خاصة في ما يتعلق في المساءلة والنقد الموجه للنص الديني.

- الصلة بين الوحي والواقع في فكر حسن حنفي محاولة للتفهم:بلال مقنعي: جاءت هذه الدراسة لمناقشة فكر علم من أعلام الحداثة حسن حنفي من زاوية ثنائية الواقع والوحي ، وهي من القضايا التي شغلت كثير الخطاب الحداثي، والتي دافع

عنها حسن حنفي هل الأسبقية للوحي ،أم للواقع؟.

-الحداثة وموقفها من السنة النبوية إعداد:الحارث فخري عيسى عبد الله،المشرف: الأستاذ الدكتور شرف محمود القضاة:استعرضت الدراسة مواقف الحداثيين العرب من السنة النبوية بهدف استجلاء مواقف الخطاب الحداثي ومناقشته ،وتساءلت عن مدى ملائمة هذه الفكر مع الحالة العربية الإسلامية، وما مدى صلاحية تطبيق مناهج الحداثيين على النّص الإسلامي ،وعلى السنة النبوية، وكيف تعاملت مع نقد النّصوص

-القراءة الحَدَاثِيَّة للسنة النبوية عرضٌ ونقد :الشيخ الدكتور محمد بن عبد الفتاح الخطيب:حاولت الدراسة الوقوف ضد كل من يدعي قراءة النّص المؤسس للشرعية في الإسلام، بعيدًا عن"قوانين التأويل"، بقواعدها اللغوية والشرعية ، وتوقفت الدراسة على أنّ قراءة النص في الفكر الإسلامي المعاصر، كانت تخضع لمنهج مشدود للتجربة الغربية في فهم النّصوص خارج نطاق "التداول الإسلامي" .

– مصطلح الوحي في الفكر العربي المعاصر بين التعالي والمحايثة: إلياس قويسم :بعدما لاحظ القلب المنهجي الذي استهدف استعادة المبادرة من قبل الإنسان بعد أن كانت مناطة بإرادة الإله ضمن هذا السياق حاول الباحث إيقاع قراءة تأليفيّة في بعض تصوّرات النخب الفكريّة العربيّة من أمثال نصر حامد أبو زيد ، ومحمّد أركون، وحسن حنفي... في مستوى قراءتهم للنصّ القرآني، ونصوصه الثواني قصد تبيّن كيف حاولت تجنيد آليّاتها المعرفيّة الوافدة لتغيير هويّة النصّ القرآني ، ومن ورائه الحامل له "الإنسان"، وتحويله من نصّ مفارق-مقدّس- إلى نص للتاريخ، يخضع لسنن التاريخ بمعنى تحويله إلى ظاهرة ثقافيّة مشروطة، أو مجرّد ممارسة خطابيّة هي في الأخير ليست إلاّ فعاليّة بشريّة تاريخيّة دنيويّة .

-رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء السنة النبوية الشريفة:عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى،إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي رسالة دكتوراه :تناول فيها الباحث الرد على الطاعنين في عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الشبهات التي استوقفت الباحث، شبهة أعداء السنة المطهرة – ممّن هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا – حول عصمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة على إعلان الكفر صراحة بالشطر الثاني من الوحي الإلهي، وهو سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرته العطرة

الواردة فيها.

المنهج المتبع:وتطلّب هذا البحث استخدام مناهج متنوعة، ومتكاملة لعلها تفي بالغرض، وتحقق الهدف المنشود، فكان المنهج الوصفي لا بد منه في إطار العرض، والتنظير باعتباره من بين أفضل المناهج، وأنسبها لطبيعة الدراسة الحالية إذ يعتمد على دراسة وحي السنة كما توجد في الخطاب الحداثي، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً، أو تعبيراً كمياً ، فالتعبير الكيفي يصف لنا ظاهرة وحي السنة في الخطاب الحداثي ،ويبين كيفية توظيفه، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح لنا مقدار حضور، ونفي الوحي،أو حجمه، ودلالاته المختلفة، كالسخرية منه، والاستهزاء به، والتطاول على المقدسات، والثوابت ممّا أوقعم في القطيعة المعرفية ،والردة الفكرية، كما يمكن من خلاله الاستنتاج، والاستنباط، فالمنهج الوصفي لا يهدف إلى وصف الظواهر، أو وصف الواقع كما هو؛ بل للوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الظاهرة، وتفسيرها؛ وأحياناً أمزج بين المنهجين الوصفي، والتحليلي أصف، وأحلل موقف الخطاب الحداثي من الوحي، والذي تعددت أغراضه ما استطعت لذلك سبيلاً غير أنّي لم ألتزم به فقد وجدت نفسي ألجأ في هذه

الدراسة إلى عدة مناهج أخرى من بينها:الطريقة الاستنباطية التي من خلالها أبذل أقصى جهد عند تتبع هذا الخطاب، واستخراجه من مصادره المختلفة في محاولة الوقوف على دلالاته الموظّفة، وأحياناً تتجاور المناهج المختلفة في الدراسة فيكون الوصف ثم التحليل ثم المقارنة، وقد يأتي النقد على شكل تعقيبات، أو تعليقات.

المبحث الأول: مكانة السنة في الفكر الإسلامي:

أدركت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل عظمة السنة النبوية ، ومكانتها، وعدّتها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهذه حقيقة لا يعارضها، أو يجادل فيها إلا شقي معاد لله، ولرسوله وللمؤمنين، مخالف لما أجمعت عليه الأمة سلفًا، وخلفًا، وحتى قيام الساعة – بحول الله تعالى.

ولقد بين الله عز وجل مكانة السنة، وشرفها في القرآن العظيم في آيات كثيرات؛ منها آيات كثيرة في الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة تربو على ثلاثين موضعاً، انظر كيف قرن الله تعالى طاعة الرسول بطاعته في عدة آيات، وجعل طاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله ؛كقوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }(سورة آل عمران: 132)؛وكقوله عز وجل:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا }(سورة النساء: 80)؛ وقوله جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ}(سورة النساء: 59)؛ وقوله عز من قائل: { وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ سورة المائدة: 92) ؛ وقوله أيضاً:{وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(سورة الأَنْفال 1:)؛ وقوله أيضاً:{قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}(سورة النور: 54)؛ وقوله أيضاً:{ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا

أَعْمَالَكُمْ}(سورة محمد: 33)؛ وقوله عز وجل:{وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ}(سورة التغابن:12)؛ وقوله عز وجل:{وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ}(سورة المجادلة:13) ؛ وغيرها من النصوص. وقد كرر الفعل أطيعوا، والفائدة في ذلك بيان الدلالتين، فالكتاب يدل على أمر الله ، ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة، والسنة تدل على أمر الرسول ، ثم نعلم منه أمر الله لا محالة ، فثبت بما ذكرنا أن قوله : {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} يدل على وجوب متابعة الكتاب والسنة. [1]

قال الطاهر بن عاشور لينبّه على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي لئلاّ يتوهّم السامع أنّ طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما يبلّغه عن الله دون ما يأمر به في غير التشريع ، فإنّ امتثال أمره كلّه خير.[2] ؛ وجعلوا طاعة الرسول واجبة[3] كما اتفق جمهور العلماء على أنّ طاعة الرسول تعني إتباع الكتاب، والسنة في أمور الدين، والدنيا، وطاعته باقية في أوامره ونواهيه إلى قيام الساعة.[4]

وكذلك أمر سبحانه وتعالى برد الحكم ، والرجوع إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حياته عند الاختلاف ، والتنازع، ورده إلى سنته بعد وفاته، فقال:{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

[1] التحرير والتنوير :الطاهر بن عاشور،1997م ،دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 97/5.

[2] تفسير الفخر الرازي:الفخر الرازي ،دار إحياء التراث العربى107/10.

[3] انظر تفسير ابن أبى حاتم: الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي،تحقيق:أسعد محمد الطيب،المكتبة العصرية ،صيدا ،987/3، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت384/1، الحاوي الكبير :الماوردي،دار الفكر، بيروت 9/ 15، الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي،تحقيق : عبد الله دراز،دار المعرفة،بيروت14/4.

[4] الحاوي الكبير :الماوردي، 9/ 15.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}(سورة النساء: 59)؛ فهذا التأكيد على طاعته مقرونة بطاعة الله، وهذا الأمر بالرد إلى الله، والرسول ليس له معنى إلا الانقياد له – صلى الله عليه وسلم –، واعتقاد وجوب طاعته، والحذر من معصيته، ولذلك نفى الإيمان عمن لا يحكمه في شئون الدين، والدنيا أو يجد حرجاً في الاحتكام إليه أو لا يسلّم تسليماً ظاهراً ، وباطناً لقضائه؛ قال تعالى:{ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً } (النساء:65)؛ ولمكانة السنة حذّر الله أشد التحذير من مخالفة سنة نبيه، وتوعد من يخالف أمره بالعذاب الأليم ؛ قال تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النور: 63). وأحلّه منزلة رفيعة، وجعل سنته مبينة لكتابه، والمفسرة لما أجمل من آياته، والمخصصة لعمومياته، والمقيدة لمطلقاته؛ فقال عز من قائل:{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(النحل:44)، فالإيمان به يقتضي الإيمان بكل ما جاء به، وأخبر عنه من الأمور الماضية، والمستقبلية من أخبار الرسل، وأممهم، وأخبار الجنة والنار، وأهلهما، و أشراط الساعة، والملاحم وغيرها؛ لذلك وصف القرآن من يتهرب من الاحتكام إلي سنته، ويصد عنها بالنفاق؛ قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً} (النساء:61).

وترغيباً في سنته وعد الله لمن يطيع الله ورسوله بأعظم الجزاء ؛كقوله تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (النساء:13)؛ ومنها: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً } (النساء:70).

المبحث الثاني: وحي السنة في الفكر الإسلامي:

فإنّ الأمة المسلمة مجمعة سلفًا، وخلفًا، وإلى أن تقوم الساعة على أنّ السُنَّة النبوية المطهرة وحي من قبل الله تعالى على رسوله صلى الله ليه وسلم، وأنّ النَّبِي صلى الله ليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وإجماع الأمة المسلمة على ذلك ليس صادرًا عن فراغ، أو عن هوى، ولكنّه الحق الذي لا يعارضه إلا غويٌّ مبين؛ لذلك حاول الفكر الإسلامي أن يثبت أنّ السنة وحي من عند الله. [1]

وقد توقف كثير من العلماء عند هذه الآية:{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}(سورة النجم، الآية: 4) استنبطوا منها على أنّ السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وبها استدل كثير من العلماء .[2] وجاءت الآية بأسلوب بلاغي راق حيث حصرت حقيقة الوحي بالقصر عن طريق النفي، والاستثناء، وجاءت لفظة وحيٌ نكرة، والنكرة إذا وقعت في سياق النفي تدل على العموم، ويستفاد من هذا أنّ كلامه صلى الله عليه وسلم، محصور في كونه وحياً؛ كما استدل الخازن بهذه الآية على أنّه قد قامت الدلائل على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنّه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصداً، ولا عمداً، ولا سهواً، ولا غلطاً[3]؛ قال ابن تيمية :" فنفى الله عز وجل الهوى، وأثبت له العلم الكامل، وهو الوحي، فهذا كمال العلم، وذاك كمال

---

[1] السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام :د.محمد لقمان السلفي،ط.1409،1،دار البشائر الإسلامية، بيروت،ص:80.

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:السعدي، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط.الأولى 1420هـ -2000 م،مؤسسة الرسالة ،ص:818، مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، ط.الثالثة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه237/2،الكشف والبيان:أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، تحقيق:الإمام أبي محمد بن عاشور ،مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،دار إحياء التراث العربي ، لبنان ط.الأولى1422 هـ ، 2002 م ،بيروت136/9.

[3] لباب التأويل في معاني التنزيل: محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن1399 هـ /1979 م،دار الفكر ، بيروت ،لبنان23/5.

القصد ﷺ" .[1]

وذهب أهل العلم، والتحقيق إلى أن المراد بالحكمة في قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(سورة البقرة: 129): إنّها هي السنّة النبوية[2]، فإنّ الله تعالى في الآية ذكر أنّ الرسول جاء ليعلم أمته المؤمنة شيئين: الكتاب،والحكمة، ولا يجوز أن تكون الحكمة هي الكتاب، فإنّها معطوفة عليه، والعطف يقتضي المغايرة، ولا يجوز أن تكون شيئًا آخر غير السنة، فإنّها عطفت على الكتاب، فهي من جنسه في المصدر والغاية، وهذه الآية واضحة الدلالة على أن السنة من وحي الله – تعالى – على نبيه – صلى الله عليه وسلم؛ ويؤيد ذلك ما نقل الألوسي عن ابن عباس أنه كان في المصحف بدل الحكمة السنة.

المبحث الثالث: الوحي في الفكر الحداثي:

لقد أدرك الفكر الحداثي أنّ العقبة الكؤود، والعائق الأعظم التي تقف حجرة عثرة في طريق نشر هذا الفكر، وإنتاج ما يريد في المجتمعات الإسلامية يكمن في الأصول التي تعتمدها هذه المجتمعات – الكتاب، والسنة–اللذان بهما حفظ الإسلام، وحفظت شريعته، فاتجه إليهما مباشرة بالتشكيك ، والهدم، سعيًا منه في تفكيك المرجعية المعرفية الإسلامية؛ أما ما يخص السنة التي هي محل هذه الدراسة، فقد اتجه

[1] مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ،تحقيق:أنور الباز،عامر الجزار،ط.الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م ،دار الوفاء10/545.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري،تحقيق:أحمد محمد شاكر،ط.الأولى ، 1420 هـ ،2000م،مؤسسة الرسالة6/423،
الكشف والبيان:أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، 2/271، تفسير ابن أبي حاتم2/654،تفسير القرآن العظيم:ابن كثير،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،ط.الثانية 1420هـ ،1999م،دار طيبة للنشر والتوزيع1/700.

الفكر الحداثي لردها بحجة معارضتها للعقل، والعمل على نفي صفة الوحي عنها، وبأنّها لًا تشكل مرجعية،كما حاول التأكيد على تاريخية تلك الأصول، بمعنى استحالة أن تكون مطلقة متعالية عن تحكم الواقع المادي التاريخي في تكوينها وإنتاجها، وبالتالي محدوديتها بزمانها الذي ظهرت فيه هذه من أهم تمظهرات الخطاب الحداثي الذي نوّد مقاربته، ومناقشته ...

إنّ مشروع الحداثة قائم على رفض وحي السنة لأنّه نّص لا يقول الحقيقة؛ بل يخلق حقيقته في نظر الحداثيين ،إذ هو حجاب،لذلك فهم يصرحون بأنّه لا ينبغي الوثوق به ثقة مفرطة؛ لأنه يحجب الحقائق المطلقة التي يجب أن نفكر فيها،إذ لا سبيل البتة إلى الثقة في صحة الأحاديث النبوية التي وصلت إلينا.[1]

المبحث الرابع: رفضهم للوحي:

فالوحي ظلّ يشكِّل مرجعية عليا للأمة الإسلامية، لذلك ركز الخطاب الحداثي على هدم هذه المرجعية، فلا يفوت فرصة عرّاب الحداثة أدونيس إلاّ ودعا لرفض الوحي، ولذلك يعتقد أنّ السماء كانت مصدر المعرفة، والقيم في الماضي، أما التطور الحداثي فلابد أن تكون الأرض مصدر المعرفة، وتكون السماء ثانية.[2]

وهذا حسن حنفي يستهزئ بالوحي، فعندما سئل عن النصوص التي تتحدث النبوءات؛ قال هذا صحيح،فكان يتكلم عن الوحي الماضي، ويصف الحاضر،فإنه ينبأ عن المستقبل أيضاً ،ويضيف قائلا في خبث واستهزاء بالوحي وهذا ما يفعله كثير من الفلاسفة.[3]

---

[1] انظر نقد النَّصّ:علي حرب،ط1، 1993م،المركز الثقافي العربي،بيروتً،ص: 11.
[2] الأعمال الشعرية الكاملة:أدونيس،ط1985،4،دار العودة ،بيروت1/344.
[3] قضايا وشهادات ،كتاب ثقافي لمجموعة من الباحثين العدد الأول،ط1. ،1990،ص:237.

ويبقى الهدف الذي سطره، وسخر له فكره، وكتابته محمد أركون هو زحزحة مفهوم الوحي التقليدي، فهو يتحسر على المجتمعات الإسلامية كيف بقيت جامدة في مفهوم الوحي على النظرة التقليدية ، و مشروعه الحداثي يعمل على تجاوز شيوع هذا المفهوم التقليدي، الذي قذفته الأنظمة اللاهوتية.[1]

وانظر إلى نسيم خوري كيف يسخر من أمية الرسول صلى الله عليه وسلم زاعماً أنّ الكتابة محتقرة لأنّ الإسلام قائم على الوحي، والإلهام بينما الحداثة تقوم على التقنية،، والبحث .[2] وعبد المجيد الشرفي الحداثي حتى ينفي ربانية مصدر الوحي يجعله عبارة عن حالة يعيشها النبي تفيض عليه من خلالها المعاني الدفينة التي كان يعيشها في حياته، فالوحي عنده: "حالة استثنائية يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات، ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها، ولا تتحكم فيها إرادته!".[3] ويزعم شحرور أنَّ القرارات النَّبويَّة التنظيمية لها قوة التنزيل الحكيم الشامل المطلق الباقي.[4]

ظلّ الفكر الحداثي يكرر مفهوم الثابت والمتحول ،حيث يزعمون أنّ الشريعة ثابتة،والحياة متطورة ،لذا يجب البحث عن مصدر جديد للتشريع – غير الكتاب، والسنة– يعتمد على العلم العصري ، والحياة الإنسانية، ويبقى جوهر الدين هو التوجيه الروحي.[5] يقول نجيب زكي محفوظ: هذا التراث كلّه بالنسبة لعصرنا فقد

انظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني:أركون ترجمة وتعليق:هاشم صالح،2001م،دار الطليعة،بيروت ،ص176[1]

مجلة الفكر العربي المعاصر عدد: 1980،2،ص:61. [2]

الإسلام بين الرسالة والتاريخ: عبد المجيد الشرفي،ص:40.[3]

نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي:محمد شحرور، ط.الأولى.، 2000،دار الأهالي: دمشق،ص:160. [4]

العلمانية:د.سفر الحوالي،ط.الأولى 1402،دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع،ص:693. [5]

مكانته، فالوصول إلى ثقافة علمية، وتقنية، وصناعية لن يكون بالرجوع إلى تراث قديم، ومصدره الوحي ..[1] وحتى ينفي ظاهرة الوحي عن السنة النبوية ركز على مجموعة من الإشكاليات نجملها في المطالب الآتية :

المطلب الأول: تدمير الثوابت:

إنّ الخطاب الحداثي يريد أن يدمر الثوابت التي تحصن الأمة - ويعدّه دوغمائياً بنظره – إذ يحاول تسويغ الأسباب ليقتحم الغيب، ويزحزح هذه الحدود ، والثوابت لأنه يطمح إلى معرفة ما وراء هذا الثوابت، ولا يكتفي بالخبر الموثوق، ويأبى إلا أن يقتحم هذا السياج ويرتع في الحمى ، ويتجاهل التجارب الإنسانية الطويلة الفاشلة في هذا المجال، فهذا أودنيس يرى أن نقد الوحي هو في الحقيقة نقد للفكر الذي أنتجه الوحي ...،فهو يرى أنّ هذا النقد يرى في نهاية النبوة بداية الواقع ..فعندما ينتهي الفكر النبوي يحل محله الفكر الذي يصدر عن التجربة الإنسانية ...وهكذا يحل العقل محل الوحي، والإنسان محل الله. [2]

وزعزعة الثقة بالثوابت؛ من أجل ذلك سعت حركة ما بعد الحداثة إلى تأصيل النص وانفتاحه، وقدرته على إنكار الحد، والحدود؛ ممّا يجعله يقبل التأويل المستمر والتحول الدائم، وبذلك ـ حسب رأيهم ـ تتحول النصوص إلى نصوص لا نهائية في نصيّتها، ولا محدودية في معانيها؛ ممّا يفضي إلى تعدد الحقائق، والعوالم بتعدد القراءات.

المطلب الثاني: فصل الأمة عن مقدساتها:

حيث ركز الخطاب الحداثي على محاولة فصل عن مقدساتها.. ؛ يرى محمد بنيس أنّ

[1] تجديد الفكر العربي: نجيب زكي محفوظ ،ط8،.1408،دار الشروق، القاهرة،ص:82.
[2] الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع: أودنيس،ط1980،3،دار الطليعة 90/1.

همّ الحداثة هو هدم المقدس، والثابت.[1] ولذلك تراهم يدعون لإعادة رسم خريطة المقدسات[2]؛ يقول عبد المجيد الشرفي:"لا يغرنّك ما يقال، ويكتب عن ضرورة المحافظة علة الأصالة، والهوية، والوفاء، والقيم الذاتية...العامل على نحت مصيره نحتاً.. "[3]، ومن بينهاإلغاء الوحي، وبالمقابل تركزت جهود المخلصين من أبناء الأمة على تحصين ثوابت الهوية ،وإبراز مقوماتها.

لا يتردد محمد أركون، وهو يطالب من المفكرين بنقل التراث كله -بما فيه القرآن، وصحيح السنة- من ساحة اللا مفكر فيه إلى ساحة المفكر فيه أي: من ساحة المسلمات إلى ساحة المشكوك فيه القابل للنقد، ولذلك فلا يصح اعتبار الإسلام، ولا النظر إليه كنموذج حقيقي مكتمل، لأن التراث بنظره مفتوح وغير محدد بشكل نهائي مغلق، فهو قابل للزيادة خاضع للتغير المستمر الذي يفرضه التاريخ.[4]

وانظر لما تقوله واحدة من المدافعين عن الحداثة خالدة سعيد:"عندما كان طه حسين، وعلي عبد الرزاق يخوضان معركة زعزعة النموذج(الإسلام) بإسقاط صفة الأصلية فيه، ورده إلى حدود الموروث التاريخي، فيؤكدان أن الإنسان يملك موروثه ولا يملكه الموروث، ويملك أن يحيله إلى موضوع البحث العلمي والنظر، كما يملك ، حق إعادة النظر في ما اكتسب صفة القداسة، وحق نزع الأسطورة عن المقدس، وحق طرح الأسئلة والبحث عن الأجوبة".[5]

---

[1] حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة:محمد بنيس،ط.1988،2،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ص:32.

[2] ندوة مواقف الإسلام والحداثة،ص401.

[3] لبنات في المنهج وتطبيقه:د. عبد المجيد الشرفي،ط2. ،2005،دار الجنوب للنشر،تونس،ص:13.

[4] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد:محمد أركون، ترجمة هاشم صالح ط3، 1998م، دار الساقي،ص:86.

[5] الملامح الفكرية للحداثة:خالدة سعيد،مجلة فصول، مج الرابع، عد الثالث، 1984م القاهرة،ص:26.

الفكر الحداثي يعمل على طرح القداسة في كل شيء؛ فكل شيء يخضع لعملية الفرز.[1] يقول أدونيس في قصيدة طرف العالم:[2]

نمضي ولا نصغي لذلك الإله

تقنا إلى رب جديد سواه

إنّ أدونيس الجريء على الله هو نفسه أدونيس الذي يحرص أشد الحرص أن تظل سمعته السياسية مَرْضية عند الأنظمة العربية، ويحرص أن يظل ذوو القداسة من السياسيين مقدسين، ويلح أشد الإلحاح على أن الأدب يجب أن يظل بعيداً عن الإيديولوجية، أي بعيداً عن القداسة السياسية، ولا مانع عنده من تمريغ القداسة الشرعية في التراب، وسنقف على بعض أقواله في ثنايا البحث.

المطلب الثالث: قطع الصلة بالماضي:

كما يحرص الفكر الحداثي على قطع الصلة بالماضي إلا ما يتفق مع منهجهم[3]؛ يقول الشرفي: "لا يوجد طريق آخر إلى تخليص الفكر العربي الإسلامي من الماضوية المعرقلة التي يتخبط فيها في كلّ ما يتعلق بالدين غير الإطلاع المباشر على الفكر الحديث .." [4]

ولذلك يدعو كثير من منتجي الحداثة إلى قراءة نصوص السنة قراءة تاريخية بمعنى قراءة "موجهة" تبحث داخل هذه النصوص عن أية مضامين تدعم توجهها الحداثي، ثمّ تؤَوِّل ما يتعارض مع تصورتها، وتوفير الغطاء المبرر لتسويق هذا الفكر، وتخريجه بشتى المخارج ؛وهذا ما صرح به الجابري بقوله:لذلك كانت الحداثة بهذا

---

[1] تحرير العقل من النقل :سامر إسلامبولي ، دار الأوائل سورية دمشق بلا تاريخ.ص:1

[2] انظر الآثار الكاملة: أدونيس،ط.الأولى،1971م، دار العودة،بيروت 1 /413 .

[3] الحداثة تعود: حلمي القاعود،ط.1412،1،دار المعارج،ص: 6.

[4] لبنات ،ص:61.

الاعتبار تعني أولا، وقبل كلّ شيء حداثة المنهج، وحداثة الرؤية، والهدف تحرير تصورنا لـ"التراث"من البطانة الأيديولوجية ، والوجدانية التي تضفي عليه داخل وعينا طابع العام، والمطلق، وتنزع عنه طابع النسبية، والتاريخية.[1]

انظر مثلاً ما يقوله محمّد أركون عن الماضي القمعى، والضلامي بأنّه ارتدادات الأصوليّن إلى الماضي، ومبالغاتهم ،والأعمال التي يرتكبونها باسم لاهوت قروسطي عفا عليه الزمن سوف تدفع بالنّاس يوما إلى الكفر بهذا اللاهوت العتيق، وفتح المجال لتشكيل لاهوت آخر أكثر تحرّراً، واحتراماً لكرامة الإنسان؛ فهو يزعم أنّ قوى العولمة الزاحفة على العالم الإسلامي سوف تساهم في تفكيك هذا اللاهوت القروسطي القمعي، و الظلامي".[2]

كما أنّ حامد أبو زيد يعتقد أنّ الاستناد إلى سلطة النصوص يعني أنَّ الماضي هو الذي يصوغ الحاضر دائمًا.[3] وكمال أبو ذيب يعدّ الحداثة انقطاعاً معرفياً عن الماضي، والحداثة عنده الانهيار والتفتت- انعدام النظام وتهاوي المركز[4]، وهي عنده فقدان المركز، وانهيار الإجماع.[5]

إنّ مشروع الحداثة قائم على رفض الموروث أياً كان باعتباره ماضي، وخلق قطيعة معرفية مع النّصوص الدينية ؛ وبدل أن تكون الدعوة إلى قراءة الوحي قراءة صادقة

[1] التراث والحداثة :محمد عابد الجابري،1991، مركز دراسات الوحدة العربية،ص:16.
[2] الفكر الأصولي واستحالة التأصيل :محمّد أركون،تر،هاشم صالح،ط،1999،1دار الساقي،بيروت- لبنان،ص115.
[3] انظر النص، السلطة، الحقيقة :حامد نصر أبو زيد،ص: 18.
[4] الحداثة، السلطة، النص: كمال أبو ديب، مجلة فصول م4،ع3 ابريل، مايو، يونيه 1984، ص: 39.
[5] المرجع نفسه، ص 39.

تتجرد للبحث الدقيق عن المراد الإلهي، بمعنى آخر: تحويل الوحي من حاكم إلى متهم مبرراً، ومدافعاً عن هذا الطرح، ولا يقبل عنه بديلاً.

ويبقى من عجيب أهل الحداثة أنّهم يدعون إلى الانقطاع عن تراثهم، وبالمقابل يمجدون تراث الغرب، ،ويعملون جاهدين دون كلل، أو ملل لانتقاد ماضيهم جملةً ،وتفصيلاً لتبرير إتباع حاضر غيرهم، فالحداثة من جملة ما تعنيه عندهم الانقطاع عن الماضي إذا كان هذا الماضي هو ماضي الذات العربية نفسها، أما إذا كان ماضي الغرب فهي اتصال، واستمرار، وثيقين[1] ؛ ولذلك جاءت أغلبُ تساؤلات الخطاب الحداثي كيف يمكن تحرير الفكر العربي المعاصر من وطأة الماضي وقيوده[2]؛ لذلك لا يتوان هذا الخطاب في الدعوة لإسقاط العصمة عن الماضي وأشكاله، أو نماذجه، واعتبار هذه الأشكال تاريخية قابلة للتغيير".[3]

المطلب الرابع: جعل السنة تراثاً:

ويبدو أنّ عودة أهل الحداثة لتراثها بشكل عام لم تكن أوبة ذاتية نابعة عن قناعة وحب، وإحياء هذا التراث، ولكنّه جاء نتيجة الصدمة التي ولدتها الحداثة بعد الاحتكاك بالثقافة الغربية، لذلك لا غرابة أن يكون هذا الخطاب مسكوناً بخطابات، وتمثلات الآخر في بنيته، وتصوراته، ومنطلقاته، لذلك الأسئلة، والإشكاليات التي طرحها خطاب الحداثة جاء من خارجه، فهو مسؤول إلى حد كبير عن القراءات الموجهة أيديولوجياً الذي أنتجه هذا الخطاب، وقد حاول الخطاب الحداثي أن يبرهن على تراثية السنّة حين ربط بين النّص القرآني، والنّص النبوي في بيان منزلة السنّة بأنّه

[1] انظر النخبة والأيديولوجيا والحداثة :د. سعيد شبار، ط. الأولى 1422ه .2005،م.دار الهادي بيروت،ص:98.

[2] جدل الأصول والواقع لحمادي ذؤيب دار المدار الإسلامي،ط. الأولى 2009م.ص:9.

[3] الملامح الفكرية للحداثة:خالدة سعيد،مجلة فصول، مج الرابع، عد الثالث، 1984م القاهرة،ص:26.

تحوّل من نّص إلهي إلى فهم إنساني، فتحول من التنزيل إلى التأويل[1]، وذهب أركون إلى أنّ السنة تراث ينبغي تجريدها من سماتها الخاصة التي جعلتها المصدر الثاني للتشريع ، فهي لا تعدّ عنده إلاّ مجرد خطاب، أو نّص ظهر في التاريخ لمهمة خاصة ليس له طابع الخصوصية . [2]

عدّ الخطاب الحداثي السُّنَّة تراثاً أكثر من أن تكون وحياً، واعتبار السُّنَّة تراثاً يتطلب تجريدها من سماتها الخاصة التي جعلت منها مصدراً ثانياً للشريعة الإسلامية، ويستلزم من ذلك اعتبار السُّنَّة مجرد خطاب، أو نص ظهر في التَّاريخ لمهمة خاصة ليس لها طابع الديمومة.[3] ويرى عبد المجيد الشرفي أنّ السنة ليست تراثاً نبوياً محفوظاً؛ بل هي تمثل représentation معين للسنة، وليس السنة ذاتها.[4]

المطلب الخامس: إعلاء سيادة العقل:

إنّ العقلانية تمثل مفتاح الحداثة، وروح الإنسان المعاصر،حتى قيل: الحداثة العقلانية، وهي القضية التي ظّل الفكر الحداثي ينافح عنها،وجعلها من لوازم الحداثة؛ يقول أحد منظري هذا الفكر: إنّمن أهم لوازم الحداثة العقلانية، إذ لا تتصور الحداثة من دون عقلنة.[5] يقول د. عمارة تطالعنا «آلهة التنوير الغربي» لتحل محل الموروث – كل الموروث – لا سلطان إلا للعقل والمادة؛ فكل ما يجاوز الحس ، والمشاهدة ، وكل ما لا يتأنسن ، يجب تأويله ؛ بل والتخلي عنه وإلغاؤه.[6] ويبقى

[1] الخطاب والتأويل:محمد أركون، ط1، 2000م، المركز الثقافي العربي، بيروت ،ص:174.
[2] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد :محمد أركون، ، ص: 102.
[3] المرجع نفسه.
[4] لبنات1 في المنهج وتطبيقه:د. عبد المجيد الشرفي،ص:156.
[5] الإسلام والحداثة: عبد المجيد الشرفي ،1991،الدار التونسية للنشر،ص:25.
[6] انظر الإسلام بين التنوير والتزوير : د. محمد عمارة،ط1، 1995م ، دار الشروق، ص: 191.

العقل هو المجال الذي يتحرك فيه الخطاب الحداثي بكل مستتبعاته، وإشكالاته،لذلك يرى أهل الحداثة أنّ الذاكرة وضعت مكان العقل، فهي التي تنوب عنه، وتقوم بعمله؛ لأنّ العودة إلى السلف لا تتطلب جهداً عقلياً، فالذاكرة هي التي تقوم باستحضار السلف لكي يتمّ البناء عليه.[1] ويرى حسن حنفي أنّ كلّ مبررات استقلال العقل موجودة.[2]

ويصرخ الجابري عالياً، وداعياً، ومطالباً بحمل الناس على تحكيم العقل بدل الاستلام للمكتوب، أو الإذعان للخرافة، وانظر كيف يسمي التراث برمته خرافة .[3] والوحي عند حسن حنفي يتوقف عندما يصبح الإنسان قادراً بعقله على أن يصل إلى الحكم بنفسه دون تدخل نص آخر...ويصرح أنه ليس بحاجة، ولزوم للوحي إطلاقاً، و يعد الوحي بالنسبة إليه إنّما يأخذه على سبيل الافتراض.[4] ولا غرابة في موقف الخطاب الحداثي، وتمجيده للعقل؛ فهذا أدونيس يجعل الإيمان المطلق بالعقل إيماناً لا حد له، حينئذ يكون الإنسان قادراً للوصول إلى الحقيقة[5] ؛ ويصرح يوسف الخال أنّه لاشيء محرم على العقل.[6]

ومشكلة هؤلاء أنّ العقلانية التي يدعون إليها أنّها ليست عقلانية واحدة، وإنّما هناك عقلانيات كثيرة، تتفاوت في رتبها، ودرجاتها، وتتفاضل في غاياتها، ومقاصدها،

---

[1] اللسانيات النّصية في الدراسات العربية الحديثة بحث في الأطر المنهجية والنظرية:خالد حميد صبري ، ط.1، 2015 ،1436منشورات ضفاف، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، دار لامان، المغرب، ،ص: 149.

[2] الإسلام والحداثة: حسن حنفي،1990ندوة مجلة مواقف، دار الساقي، لندن،ص:135.

[3] الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية :محمد عابد الجابري،ط3. ،1988،دار الطليعة، بيروت، ص: 7.

[4] انظر ندوة مواقف الإسلام والحداثة: مجموعة حداثيين ،ط.1990،1،دار الساقي،لندن،ص:221.

[5] انظر زمن الشعر:أدونيس،ط.1983،3،دار الطليعة،بيروت،.ص:41.

[6] نحو أدب عربي جديد،ص:91.

بحسب الفاعلية الصادرة من العقل ابتداء؛ يقول الدكتور طه عبد الرحمان:"وقد التبس الأمر على دعاة العقلانية من المحدثين،فظنوا أنّ العقلانية واحدة لا ثانية لها،وأنّ الإنسان يختص بها بوجه لا يشاركه فيه غيره ، وليس الأمر كذلك، إذ العقلانية على قسمين كبيرين، فهناك العقلانية المجردة من الأخلاقية ، وهذه يشترك فيها الإنسان مع البهيمة،وهناك العقلانية المسددة الأخلاقية التي يختص بها دون سواه، وخطأ المحدثين أنّهم حملوا العقلانية على المعنى الأول، وخصوا بها الإنسان ".[1]

وانظر إلى قول حسن حنفي:"إنّ العقل هو أساس النقل، وأنّ كلّ ما عارض العقل فإنّه يعارض النقل، وكلّ ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك عند المعتزلة ، والفلاسفة ...) ؛ ثمّ قال: (لقد احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص"[2]؛ فحامد نصر أبو زيد كان يعتقد أنّ الاستناد لسلطة العقل يعني قدرة الحاضر الدائمة على صياغة القوانين التي تناسبه.[3]

المبحث الخامس: الوحي في الخطاب الحداثي والحقيقة التاريخية:

يرى أركون أن ما جاء به الوحي يمكن أن يقبله كحقيقة تاريخية، ومع ذلك تبقى حقيقة نسبية، إذ يقول: "وليس في وسع الباحثين أن يكتفوا اليوم في الواقع بالتكرار الورع (للحقائق) الموحى بها في الجزيرة العربية في القرن السادس والتي طرحت منذئذ على أنها بآن واحد، ممّا يمكن تعريفه واستخدامه وأنّها متعالية...، وينجم عن ذلك أن المشكلة الجديدة المطروحة على الفكر العربي هي مشكلة (تاريخية الحقيقة المنزلة) وإذا شئنا (مشكلة تفاعل الوحي والحقيقة التاريخية منذ 622م)، وهذه

[1] سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية :طه ،عبد الرحمن 1991 ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،ص:14.

[2] التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة:حسن حنفي،مكتبة مدبولي،القاهرة ،ص: 88 .

[3] النص، السلطة، الحقيقة :حامد نصر أبو زيد،ص: 18.

المشكلة محتومة كما يدل على ذلك مثال الفكر المسيحي، الذي شرع ينظر بعين الجد في الحق إلى النقد الفلسفي لدى أمثال (نيتشه) ".[2] لذلك لا يتوانى الحداثيون في رفض السنة، فهي ليست من مصادر المعرفة؛ بل يثيرون حولها الشبه، والشكوك استناد إلى الدراسات التاريخية، ويعبرون عنه بالتطور التاريخي.

المبحث السادس: مسألة الوحي وتوجيه النقد له:

يقترح الخطاب الحداثي لفهم السنة باعتبارها نّصاً من النصوص إستراتيجية تقوم على جملة من الألاعيب، والإجراءات يمارس الخطاب من خلالها آلياته في الحجب والتبديل، والنسخ، وبناء عليه يتمّ التعامل مع النَّصّ على كشف المحجوب أي :مساءلته ومصدره حتى لا يحجب ما يجب أن يكون محل مساءلة، ونقد، وحتى يصرفون النّاس عنه يصفون الخطاب النبوي بأنّه خطاب دوغمائي .

فالحداثي الشرفي عبد المجيد يدعو، ويؤكد أنّ الحديث النبوي الشريف في حاجة أكيدة للمساءلة، والمرور على الغربال الدقيق، وعرضه على محك النقد بعيداً عن التقديس، وحرفية النصوص...،ويزعم أنّ ذلك شرطاً لبقائه حياً في النفوس[1]؛ ولذلك نراهم يطعنون في حجية السنة كمصدر ثاني للتشريع ،ومن ثمّ جعلوا التمسك بالسنة هو تضخيم لدور النبي على حساب رسالته.[2]

و انظر لما تقوله واحدة من المدافعين عن الحداثة خالدة سعيد: "عندما كان طه حسين وعلي عبد الرزاق يخوضان معركة زعزعة النموذج (الإسلام)، بإسقاط صفة الأصلية فيه، ورده إلى حدود الموروث التاريخي، فيؤكدان أن الإنسان يملك موروثه ولا يملكه الموروث، ويملك أن يحيله إلى موضوع البحث العلمي والنظر، كما يملك

[1] الإسلام بين الرسالة والتاريخ:عبد المجيد الشرفي،ط2. ،2008،دار الطلية،بيروت،ص:182.
[2] المرجع نفسه،ص:161.

حق إعادة النظر في ما اكتسب صفة القداسة، وحق نزع الأسطورة عن المقدس، وحق طرح الأسئلة والبحث عن الأجوبة[1]؛ ثم تقول: "يتضمن هذا كله إسقاط العصمة عن الماضي وأشكاله أو نماذجه، واعتبار هذه الأشكال تاريخية قابلة للتغيير".[2]

فالحداثي الشرفي عبد المجيد يدعو، ويؤكد أنّ الحديث النبوي الشريف في حاجة أكيدة للمساءلة، والمرور على الغربال الدقيق، وعرضه على محك النقد بعيداً عن التقديس، وحرفية النّصوص...ويزعم أنّ ذلك شرطاً لبقائه حياً في النفوس.[3]

المبحث السابع: الخطاب الحداثي وثنائية الوحي والواقع:

لذلك نقف أمام آراء أحد أقطاب الحداثة الذي دافع عن ثنائية الوحي، والواقع باستماتة كبيرة إذ ظلّ حسن حنفي يراوغ في مفهوم الوحي في مقابل الإعلاء من شأن الواقع، فيظهر للمتلقي أنّه غير متخلٍ عن الوحي، ويصرح بقبول كلّ الأفكار عن الوحي، لكنّ الوحي عنده بمعناه المجازي، وهنا تكمن المفارقة، فالوحي عنده هامشي، وثانوي يمكن الاستغناء عنه، ثمّ نراه يفضل الواقع ، ويقرر لا ضرورة للوحي معرفياً لأنّ الإنسان قادر، ومقتدر له القدرة، والحرية، والاستقلالية، وواقعياً لاعتقاده أنّ الوحي، والنّص، والمقدس ستتحطم أمام صخرة الواقع، ولذلك يصرح العيب كلّ العيب في هذا الوحي المطلق خارج الزمان، والمكان.[4]

فهو يؤكد ضرورة احترام الواقع، واعتباره في مجال دراسة الظواهر الدينيّة، ومقياس صحة العقائد ليس صدقه، أو كذبها من الناحية النظرية؛ بل مقدار فاعليتها

---

[1] الملامح الفكرية للحداثة: خالدة سعيد، مجلة فصول، مج الرابع، عد الثالث، 1984م القاهرة،ص:26.

[2] المرجع نفسه 26.

[3] الإسلام بين الرسالة والتاريخ: عبد المجيد الشرفي،ط2. ،2008،دار الطلية،بيروت،ص:182.

[4] انظر الإسلام والحداثة: حنفي،ص:136.

من الناحية العمليّة، فلا يهم إثبات خلود النفس، أو إنكارها بقدر ما يهم هذا الإثبات، أو هذا الإنكار في حياة النّاس العمليّة ... [1]

وألفينا عبارة الواقع من أكثر الألفاظ دوراناً في الخطاب الحداثي، فهذا نصر حامد يكررها كثيراً ، فهي القوة الحاكمة في مجال تشكيل النصّوص، وبلورة دلالاتها، ومعانيها؛ فالواقع هو الأصل كما يذهب نصر حامد – وليس الوحي – ولا سبيل لإهداره، من الواقع تكوّن النصّ، ومن لغته، وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعليّة البشر تتجدّد دلالته، فالواقع أوّلاً، والواقع ثانياً ،والواقع أخيراً ". [2]

فظلّ يدندن حول الواقع، فهو يروج أنَّ حلَّ مشكلات الواقع التي ظلَّت تعتمد على مرجعية النّصوص الإسلامية –الكتاب، والسنة– تؤدِّي إلى تعقيد المشكلات حتَّى مع التسليم بأنَّ الخطاب يقدِّم حلولاً ناجعةً.[3]

لا فرق في الخطاب الحداثي بين النَّصّ النبوي والنَّصّ البشري: اعتبار النَّصّ النبوي خطاباً لغوياً قابلاً للنقد ، وفي هذه الظاهرة الحداثية يعد النَّصّ النبوي مادة لمناهج الألسنيات الحديثة، وتحليل الخطاب التاريخي ونقده ، ففي منطق النقد يستقل النَّصّ عن المؤلف ، كما أكد علي حرب في كتابه : نقد النَّصّ ، وما دام أنّه أكد قبل هذا على تساوي النَّصّوص، فلا فرق عندهم إذاً بين النَّصّ النبوي ، والنَّصّ البشري .

إن الخطاب الحداثي أدرك جيداً أنّ الأمة الإسلامية،والعربية تنتمي إلى حضارة المقدس، والإيمان بالمطلق، وأن أي محاولة للتجديد أو للنهوض محكوم عليها بالفشل

---

[1] انظر سلسلة قضايا معاصرة: حسن حنفي،ط2. ،1983.دار التنوير للطباعة.بيروت1/93.

[2] انظر الخطاب الديني رؤية نقديّة رؤية نقديّة: نصر حامد أبو زيد،ط1. ،1992،دار المنتخب العربي، بيروت–لبنان، ص: 68.

[3] النص، السلطة، الحقيقة :حامد نصر أبو زيد،ص: 18.

إذا لم تنطلق من خلال هذين المحورين :الإيمان، والمقدس، وفي خضم الصراع بين المدنس، والمقدس ،وجد أن المقدس عقبة تحول دون انتشار، وتوسع هذا الفكر فلذلك طعن، وانتقد هذا المقدس؛لذلك ظلّ يروج لمقولة أنَّ التفكير العقلي هو أساس النقل، وهو الوحيد الذي بإمكانه بعث الحياة العربية ، والإسلامية من موتها، وسباتها، وتخلفها بزعمهم ولا يتمّ ذلك إلاّ بنفي المنقول ، أو اللامعقول كما يسمونه .

المبحث الثامن: وحي السنة بين أنسنة الإلهي،وتأليه الإنساني:

إنّ الخطاب الحداثي استند كما وسبق أن ذكرنا على نفي الوحي، والطعن، والتشكيك في السنة من أجل أن يطرح نظرياته الإنسية في الوحي، لذلك ركزت الحداثة في تعاملها مع النص النبوي على أنَّه مجرد تراث وليس وحياً، واعتبار السُّنَّة تراثاً يتطلب تجريدها من سماتها الخاصة التي جعلت منها مصدراً ثانياً للشريعة الإسلامية، ويستلزم من ذلك عدّ السُّنَّة مجرد خطاب أو نّص كغيره من الخطابات ،والنصوص ظهر في التَّاريخ لمهمة خاصة ليس لها طابع الديمومة،وثمّ عدّ الحديث النبوي خطاباً لغوياً قابلاً للنقد والمساءلة . فأدونيس يرفض الغيب، ويدعو لعودة الإنسان إلى طبيعته الأصليَّة، وإلى الإيمان به من حيث هو إنسان،

فما دام الإنسان تابعًا للغيب لا يمكنه أن يكون إنسانًا.. فهو يدعو لثورة حقيقية تهدف إلى هدم السلطة التي يمارسها الإنسان باسم الوحي على الإنسان، أو يمارسها باسم الغيب على الواقع؛ إنَّ أدونيس يسعى لأنسنة الإلهي، وتأليه الإنساني.[1]

لذلك تبقى من أسمى الأهداف التي سطرها الفكر الحداثي سعيه لتكريس أنسنة الإلهي، وتأليه الإنساني، أما أنسنة الإلهي في مشروع الحداثة فيتمثل في رفض المصدر الإلهي للوحي، وعدّها مجرد ظواهر اجتماعية، وإنسانية تاريخية برزت ضمن ظروف،

[1] الثابت والمتحوِّل، الأصول : أدونيس،ط. 1، 1974،دار العودة، بيروت، ص: 89.

ومعطيات تاريخية معينة، والسعي لإلغاء ، وتمييع كلّ المتعاليات، والمقدَّسات بالطعن والتشكيك في الأمور الغيبية، والمعجزات، وعدّها مجرد خرافات، وأساطير عفا عليها الزمن، ومن ثمّ الدعوة لإعادة النظر في هذه الأمور، وتجديدها بما يتوافق، والرؤية التجديدية التنويرية، وتفسيرها تفسيراً علمياً إنسانياً يتوافق والواقع.

وأما تأليه الإنساني في الفكر الحداثي هو تحويل الوحي إلى إيديولوجية، وتحويل الوحي ذاته إلى علم إنساني،كما كان يقول أركون" نزعة الأنسنة"[1]، والتركيز على مركزية الإنسان، واستقلالية العقل، وهذه الأخيرة تشكل بُعداً أساسياً في الفكر الحداثي حتى جعلت من مسلمات الحداثة بأنّها لا سلطان على العقل إلا للعقل في تفسير الوجود.

إنّ الخطاب الحداثي يدرك جيداً أنّ الأمة الإسلامية، والعربية تنتمي إلى حضارة المقدس ، والإيمان بالمطلق، وأنّ أيّ محاولة للتجديد ، أو للنهوض محكوم عليها بالفشل إذا لم تنطلق من خلال هذين المحورين : الإيمان، والمقدس، من أجل تحقيق المشروع الحداثي لا بد أولاً من انزياح هذه الأنظمة الكبرى المتمثلة في الأديان من دائرة التقديس ، والغيب، باتجاه الركائز ، والدعامات التي لا زال العلم الحديث يواصل اكتشافها.[2]

وتأليه الإنسان في الفكر الحداثي من جملة ما يعنيه أنّ التفكير الإنساني ينبغي أن يكون مستقلاً عن الوحي؛ بل يرقى إلى مرتبة الوحي ، ويحظى بنصيب من الألوهية ، فهذا الفكر يسعى لإحلال منظومة جديدة مؤلَّهة من القيم الإنسانية، وإضفاء حالة من القداسة عليها ، بدلاً من الدستور الإلهي القائم على الوحي .

---

[1] نزعة الأنسنة في الفكر العربي:د. محمد أركون ، تر: هاشم صالح، 1997،دار الساقي.

[2] انظر تاريخية الفكر:محمد أركون، ص 26.

إنّ تأليه الإنساني يعني تقديس المُدَنَّس ، وتدنيس المقدس ، والتعامل معه على هذا الأساس الدَّنِس،وتصبح المادة بهذا الشكل حالَّة محل الألوهية، ويغدو كل ما سواها ضربٌ من الأساطير، والأوهام، وهو ما سعت إلى تكريسه الحداثة **بإعلان القطيعة التامة مع الدين، وتجاوز ما يسمونه (سلطة النّص)، والتأكيد على أنّ النّص يجب أن يُقرَأ في سياقه التاريخي،** والدعوة لنسف الضوابط المنهجية لفهم السنة ، ولكلّ مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله، وعن رسول الله...من دون توسيط أحد من سلف، ولا خلف ، ولتحقيق هذه الأهداف فأول ما يجب القيام به المراجعة المعمَّقة ، والقراءة التنويرية الحديدة، والابتعاد عن القراءات التقليدية للتخلص الأسْيِجة ، والضوابط ، القواعد التي تحكم ، وتكبِّل قراء ة هذه النّصوص.

وهذا ما كنا نجده في الفكر الحداثي؛ إذ يدعو صالح هاشم أنّه لا يمكن أن يحصل أي تحرير في الأرض العربية أو الإسلامية إن لم نبتدئ بتفكيك هذا الانغلاق التاريخي المزمن؛ ويعدّ العقل الإسلامي بأنّه عقل تاريخي، أي: أن له لحظة انبثاق تاريخية محددة تماماً، ويمكن الكشف عنها، وما إن تنكشف تاريخية العقل الإسلامي حتى تحصل زلزلة أرضية تشبه الزلزلة الفكرية التي حصلت في أوربا بعد الكشف عن تاريخية العقل اللاهوتى المسيحى" .[1]

وإثبات الأثر الإنساني في أصل الوحي يبقى الهدف المركزي الذي يلهث وراءه الحداثيون، والعمل على إزالة الصبغة الإلهية، والمصدرية الربانية عنه.

---

[1] الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي: صالح، هاشم، 2001 ،دار الساقي، بيروت،،ص:252.

الخاتمة:

فهذه الورقة البحثية لا تدّعى -ولا ينبغي لها أن تدّعي- الإحاطة بتمظهرات الخطاب الحداثي، ورؤاه نحو الوحي، ولم يكن هدفنا رصد جميع محطات هذا الخطاب بكلّ تفاصيله لأنّ هذا العمل يحتاج في حقيقة الأمر لأكثر من جهد باحث ، كما يحتاج إلى فضاء أرحب التي لا تسمح به هذه الدراسة على الرّغم من أهميته في رصد الذاكرة التاريخية للأمة، ولكنها حاولت جاهدة القبض على مفاصل هذا الخطاب بما يفي بالغرض في المساحة الممنوحة لي في هذه السانحة العلمية على الرّغم من أهمية هذا المشروع لبيان الاختلالات الفكرية التي أوقعت هذا الفكر في قطيعة معرفية مع الموروث، وسلف الأمة، وردة فكرية حاولت أن تسقط كلّ المقدسات والمتعاليات، والتعامل معها على أنّها تخضع لما يخضع له العمل البشري؛ بل حاولت الدراسة الوقوف على بعض

مظاهر هذا الخطاب في تعامله، لسنية الوحي عبّر بعض الإشكاليات التي حددت كإطار للمعالجة، والمقاربة . **وينبغي النظر في الهجوم، والطعن في السنة على أنّه أمر إيجابي، وليس سلبي كما يُعتقد، فهذه المطاعن في حقيقة الأمر تكشف لنا عن أعداء الأمة في الداخل ، والخارج ، وترشدنا إلى مواطن الخلل ، والعمل على تكثيف الجهود لتحصين ثوابت الأمة من الأفكار ، والانحرافات الهادمة ، كما قال تعالى: ﴿ لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيراً لكم﴾. (النور: 11).**

ولكن حسبها أن تكون قد أثارت بعض الأسئلة، وطرحت بعض الإشكالات، وأنارت بعض المساحات المظلمة، وكشفت عن بعض المواطن الخفية، وأسهمت بشكل أو بآخر في تجلية الظاهرة، وبلورتها وفق الرؤية التي ارتضها البحث الذي لا يؤمن بالإجابات القطعية، والأحكام المبرمة عن الذات في علاقتها بالحقيقة.

ولا شك أنّ هاجس الحداثة يحرك المراجعة النقدية، والتأمل الفكري في حوارات المثقفين.

إن أمتنا ليست بحاجة للنموذج الحداثي الذي يتخذ الغرب نموذجاً للتنوير لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله، وسنة نبيه[1] ؛ قال المناوي:"فهما الأصلان اللذان لا عدول عنهما، ولا هدى إلاّ بهما، والعصمة، والنجاة في التمسك بهما فوجوب الرجوع للكتاب، والسنة معلوم من الدين بالضرورة".[2]

ولأنّ القرآن الكريم كان همه الأول هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور{الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}(سورة إبراهيم الآية: 1)؛ وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } (سورة النساء : آية 174 – 175) .

ولما كان الخطاب الحداثي مشروعاً أيديولوجياً له أهداف يناضل من أجل تحقيقها مستخدما أسلحته الفكرية لتدمير القيم، والثوابت، والمقدسات، والتبرم،

[1] موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، مصر2/ 899،جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط، ط.الأولى الجزء1-1389هـ، 1969م،مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان1/277،جامع بيان العلم وفضله:أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق:أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط.الأولى 1424-2003 هـ، مؤسسة الريان،دار ابن حزم2/55،صحيح الترغيب والترهيب: ناصر الدين الألباني ط.الخامس، مكتبة المعارف الرياض 1/10.

[2] التيسير بشرح الجامع الصغير:الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي،ط.الثالثة1408هـ ، 1988م،مكتبة الإمام الشافعي، الرياض 1/ 907.

والنفور من كل ما له صلة بالدين؛ فيبقى الخوف على الثوابت، والمقدسات في زمن التيه، والاستلاب، والزندقة..... أمراً مشروعاً في ظلّ رؤية التبديلات الجارفة، والعميقة التي أحدثها زلزال التغير، والتحديات، لذلك نؤكد أنّ الأسئلة التي طرحتها هذه الورقة البحثية على نفسها ليس بالضرورة أن تجد الحلَّ الحاسِم لها غدًا، ولكنَّها تبقى تُصِرُّ على طرْحها وتدعو الباحثين لمُناقَشتها مناقشة علمية هادئة هادفة بعيدة عن الارتجالية وردت الأفعال الآنية، والمرحلية؛ فلا يزال السؤال مطروحاً حتى نصل إلى الإجابة المُناسبة، والعلاج الشافي الذي من خلاله يمكن أن تستَرِدُّ السنة النبوية حيويَّتها، ومكانتها، وتستردُّ الأمَّة مزيدًا من مَلامِح شخصيَّتها، ومكانتها، وعلى الرغم من تباين الآراء، واختلاف وجهات النظر بين الباحثين حول كيفية الحفاظ على السنة النبوية، وما هي أولويات الأهداف، والسبل الكفيل للنهوض بها، إلاّ أنّنا ندعو للعودة إلى تعزيز، وتعميق فهم السنة النبوية، والحفاظ عليها من عوامل الطمس الذي تتعرض لها.

النتائج المتوصل إليها : توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

نحن اليوم بحاجة ماسة لإعادة النظر في الخطابات الحداثية الجديدة من منابعها، ونتابع ما آلت إليه تطبيقاتها

في واقع الأمة لكي نتمكن من الرؤية الحقيقية لأضرارها.

-الطعن في مرجعية الوحي من أكثر شعب النفاق في مآلات الخطاب الحداثي ممّا يستدعي التحصين الإيماني.

– الحداثة ليس سلعة يمكن استيرادها في صناديق أو بين دفَّتي كتاب ونقلُها من مكان إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى ؛فأيُّ مشروع تحديثي لا يحترم دين الأمة ، وثوابتها ،

وخصوصياتها ،وثقافتها مشروعٌ آيلٌ – لا محالة – إلى الفشل الذريع مهما وُظِّفت له من منهجيات، ونظريات، وآليات ،ومشاريع، وطاقات، وأموال...

– من أهم مرتكزات، ومنطلقات الحداثة: العقل، ودوره في الحياة، ولذلك فإنّ هيمنة العقل، وسيادته تشكل المنطلق الحقيقي للحداثة، وأساسها المركزي.

– يبقى مصطلح الحداثة يقوم على تقديس العقل ، وهدم القيم، و تدمير الثوابت، ونشر الانحلال والإباحية ، وإعادة رسم خريطة المقدسات، و أنسنة الإله ، وتأليه الإنسان...

– الخطاب الحداثي تأثر بالثقافات المستوردة فحجبت عنه الرؤية الصحيحة، وانعكس ذلك على رؤيتهم للوحي.

– كانت قراءات الحداثيين للحديث النبوي مجافياً للضوابط العلمية المجردة، إذ تبنيت موقفاً نقدياً، أو هدمياً ،إذ لم يلتزم الحداثيون بضوابط النقد العلمية المقررة؛ بل تأسس هذا النقد على الهوى، والافتراضات المبطنة .

– إنّ مشروع الحداثة هو مشروع عقلي لا يستقيم نظام، ولا ينتظم أداء، أو ممارسة إلا وكان العقل هو الأداة المحركة له.

– مصيبة الأمة، ومآسيها منذ قرون طويلة لا تتمثل في النّصوص، وإنّما في اللصوص.

– التوظيف الأيديولوجي، وممارسته على السنة الذي سعى إلى تثبيته الفكر الحداثي، لا نجده يمارس التوظيف ذاته على نتاج الفكري الغربي؛بل نجده يعدّ معطيات الفكر الغربي مسلمات يجب أن يحاكم إليها كل ما سواها ممّا ينتمي إلى الماضي، وهنا تكمن المغالطة.

– الحداثة تمثل مذهباً فكرياً يرفض الثوابت، والمسلمات، ويعلن الحرب عليها.

– الحداثة تعني سيادة العقل، وسيادة العقل من أهم أسس فلسفة التنوير

التوصيات :

– توصي الدراسة ضرورة التصدي للمفاهيم الهدامة للحداثة الزاحفة ،والوقوف ضد الهجمة المنهجة التي تتعرض لها مصادر التشريع من قرآن، وسنة، والتي تهدد وجود الأمة، وتاريخها، وحضارتها، وثوابتها لذلك على الأقلام الجادة الوقوف ضد هذا العبث، والذي ينخر جسد الأمة، والدفاع عن ثوابت الأمة .

–كما توصي الدراسة التمسك بقول الله تعالى:{ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}(سورة المائدة 77).جعل الفخر الرازي الأهواء هاهنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة.[1]

المصادر والمراجع:

– الآثار الكاملة:أدونيس،ط.الأولى،1971م، دار العودة،بيروت .
– الإسلام والحداثة :حسن حنفي،1990ندوة مجلة مواقف،دار الساقي، لندن.
الإسلام بين التنوير والتزوير :د. محمد عمارة،ط1، 1995م ، دار الشروق. –
–الإسلام بين الرسالة والتاريخ:عبد المجيد الشرفي،ط2. 2008،دار الطلية،بيروت.
–الإسلام والحداثة: عبد المجيد الشرفي ،1991،الدار التونسية للنشر.
– الأعمال الشعرية الكاملة:أدونيس ط 1985،،4،دار العودة ،بيروت.
– الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي صالح، هاشم، 2001 ،دار الساقي، بيروت.
– تحرير العقل من النقل: سامر إسلامبولي دون تاريخ. الأوائل سورية دمشق.

[1] تفسير الفخر الرازي:.الرازي ،دار إحياء التراث العربي410/12.

-التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور،1997م ،دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
- تجديد الفكر العربي: نجيب زكي محفوظ ،ط8.،1408،دار الشروق، القاهرة.
- التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة:حسن حنفي،مكتبة مدبولي،القاهرة .
- التراث والحداثة :محمد عابد الجابري،1991، مركز دراسات الوحدة العربية.
- تفسير ابن أبى حاتم: الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي،تحقيق:أسعد محمد الطيب،المكتبة العصرية،صيدا.
- تفسير الفخر الرازي: الرازي ،دار إحياء التراث العربي.
-تفسير القرآن العظيم:ابن كثير،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،ط.الثانية 1420هـ ،1999م،دار طيبة للنشر والتوزيع.
- التيسير بشرح الجامع الصغير:الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي،ط.الثالثة1408هـ ، 1988م،مكتبة
الإمام الشافعي، الرياض.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:السعدي،تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق،ط.الأولى 1420هـ -2000 م،مؤسسة الرسالة.
-الثابت والمتحوِّل، الأصول : أدونيس،ط. 1، 1974،دار العودة، بيروت.
-الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع:أودنيس،ط1980،3،دار الطليعة.
-درء تعارض العقل والنقل :ابن تيمية ،عبد الحليم تحقيق :محمد رشاد سالم،1391،دار الكنوز الأدبية ،الرياض.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين ابن الأثير الجزري،تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط،ط.الأولى الجزء1-1389 هـ، 1969م،مكتبة الحلواني،مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان.
- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي،دراسة

وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي،ط.الأولى 1424-2003 هـ، مؤسسة الريان ،دار ابن حزم.

- جدل الأصول والواقع لحمادي ذؤيب ط. الأولى 2009م ،دار المدار الإسلامي.

- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري،تحقيق:أحمد محمد شاكر،ط.الأولى ، 1420 هـ ،2000م،مؤسسة الرسالة.

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن:عبد الرحمن الثعالبي،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

-الحداثة تعود: حلمي القاعود،ط1. ،1412،دار المعارج.

- حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة:محمد بنيس،ط2 ،1988،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء.

-الحداثة، السلطة، النص: كمال أبو ديب، مجلة فصول م4،ع3 ابريل، مايو، يونيه 1984.

- الحاوي الكبير :الماوردي،دار الفكر، بيروت.

- الخطاب الديني رؤية نقديّة رؤية نقديّة:نصر حامد أبو زيد،ط1992،1،دار المنتخب العربي، بيروت-لبنان.

-الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية :محمد عابد الجابري،ط3. 1988،دار الطليعة، بيروت.

- الخطاب والتأويل:محمد أركون، ط1، 2000م، المركز الثقافي العربي بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:محمود الألوسي أبو الفضل،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- زمن الشعر:أدونيس،ط3،. 1983،دار الطليعة،بيروت.

- سلسلة قضايا معاصرة: حسن حنفي،ط2،. 1983.دار التنوير للطباعة.بيروت.

– سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية طه ،عبد الرحمن 1991 ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب.

– السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام :د.محمد لقمان السلفي،ط1 ،1409،دار البشائر الإسلامية، بيروت.

– صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني ط.الخامس،مكتبة المعارف الرياض.

– العلمانية:د.سفر الحوالي،ط.الأولى 1402،دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع.

– الفكر الإسلامي نقد واجتهاد:محمد أركون، ترجمة هاشم صالح ط3، 1998م، دار الساقي.

– الفكر الأصولي واستحالة التأصيل :محمّد أركون،تر،هاشم صالح،ط1999،1،دار الساقي،بيروت–لبنان.

– القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني:محمد أركون ترجمة وتعليق هاشم صالح ، 2001م ،دار الطليعة،بيروت.

– قضايا وشهادات ،كتاب ثقافي لمجموعة من الباحثين العدد الأول،ط1. ،1990.

– الكشف والبيان:أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري،تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ،مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،ط.الأولى1422 هـ ، 2002 م، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان.

– لباب التأويل في معاني التنزيل: محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن1399 هـ /1979 م،دار الفكر ، بيروت، لبنان.

– اللسانيات النّصية في الدراسات العربية الحديثة بحث في الأطر المنهجية والنظرية: خالد حميد صبري ، ط.1، 2015 ،1436منشورات ضفاف، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر،دار لامان، المغرب.

- لبنات1 في المنهج وتطبيقه:د. عبد المجيد الشرفي،ط2. ،2005،دار الجنوب للنشر،تونس.
-مواقف الإسلام والحداثة:مجموعة حداثيين ،ط1990،1،دار الساقي،لندن.
- مجلة الفكر العربي المعاصر عدد2 ،1980.
- مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث، 1984م القاهرة.
- مجموع الفتاوى: ابن تيمية ،تحقيق:أنور الباز،عامر الجزار،ط.الثالثة، 1426هـ،2005م،دار الوفاء.
-الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي،تحقيق : عبد الله دراز،دار المعرفة،بيروت.
- موطأ الإمام مالك:مالك بن أنس أبو عبد الله،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، مصر.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني،ط.الثالثة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ندوة مواقف الإسلام والحداثة،ص401
- النخبة والأيديولوجيا والحداثة :د. سعيد شبار، ط. الأولى 1422ه .2005،م.دار الهادي بيروت.
-نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي:محمد شحرور، ط.الأولى، 2000،دار الأهالي: دمشق.
-نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي :د. محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح،ط 1 ، 1997- دار الساقي ،بيروت ، لندن .
-نقد النَّصّ:علي حرب،ط1، 1993م،المركز الثقافي العربي،بيروتً.
- النص، السلطة، الحقيقة: محمد أركون، ط1، 1995،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.